"الحرية.. ذلك التاج الذي يضعه الإنسان على رأسه.. ليصبح جديرا بإنسانيته."

نجيب محفوظ

كاريكاتير

الإسلام وحرية الإبداع!

د. محمد داود
الأستاذ بجامعة قناة السويس

ما أكثر الدعاوى الباطلة التى ألصقت بالإسلام؟.. فمن قائل إن الإسلام يحجر على العقل، وقائل: إن الإسلام يقيد حرية الإنسان وحرية الإبداع.. إلى آخر هذه الأباطيل التى تكشف زيفها وحنقها على الإسلام أو جهل أصحابها بهذا الدين.

وقبل أن نتحدث عن حرية الإبداع فى الإسلام، سنحاول تحديد المفهومين:

الحرية والإبداع:

والحرية فى الإسلام تعنى: والتخلص من كل القيود، بما يتيح للإنسان فرصة الارتقاء وتحقيق الرسالة المنوطة به، رسالة تعمير الأرض لا بالنسل والزراعة والصناعة فحسب، بل أيضا تعميرها بالمعانى العظيمة والأفكار المتطورة التى تضيف إلى الحياة البعد الإنسانى.

إن أول ما يحرص عليه الإسلام هو تحرير الإنسان من كل عبودية أو خضوع لغيرالله- عز وجل- حرية النزوع الفطرى فى الإنسان إلى السمو والرقى، بدءا من حرية الاعتقاد وانتهاء بحرية الرأى والقول والفعل، إن الخطوة الأولى نحو الحرية تبدأ من سقوط الأصنام.. كل الأصنام التى تذل الإنسان أو يذل هو كرامته لها.. أصنام الآلهة المزيفة، والأصنام البشرية بكل أشكالها من حكام وكهنة وسحرة ولصوص وأشقياء، والأصنام التى تسكن داخل النفس الإنسانية من الشهوات القاهرة والنزغات المهلكة.. أسقط الإسلام كل هذه الأصنام منذ كانت دعوته صلى الله عليه وسلم إلى ترك عبادة الأصنام والاعتراف بوحدانية الله، وأنه لا إله إلا الله، وكانت آخر مرحلة من مراحل سقوط الآلهة المزيف بمعول الدين حق عند دخول الرسول صلى الله عليه وسلم مكة وتحطيمه الأصنام التى وضعوها حول الكعبة كرمز لسقوط كل ألوان العبودية المذلة، والدخول فى العبودية لله الحق.. فكان فتح مكة فاتحة عصر جديد يحمل فكرا جديدا وقيما جديدة.. وكان من بين أهم هذه القيم: الحرية..

فماذا عن مفهوم الإبداع من المنظور الإسلامى؟.

يقول الله- سبحانه وتعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) (المؤمنون:١١٥).

إنما خلق الله الإنسان ليكون خليفة له فى الأرض (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) (البقرة:٣٠) ثم أمد الله خليفته بإمكانات لم يؤتها أحدا من خلقه.

أتاه العلم (وعلم آدم الأسماء كلها) (البقرة:٣١).

ثم أسجد له الملائكة رمزا للتكريم والشريف (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا) (البقرة: ٣٤).

ثم مَنَ الله على الإنسان بنعم لا تحصى : العقل والإرادة والقدرة العضلية والمخيلة (المقدرة على الابتكار) لأن الإنسان لن يكون مجرد كائن فى كون الله.. بل كائن له طبيعة خاصة وقدرات خاصة تناسب رسالته وكرامته عند الله.

وجاء الإنسان ليضيف إلى الحياة بما أوتى من الإرادة الحرة والقدرات الخلاقة أبعادا جديدة، ليبدع.. والإبداع يتخذ مظاهر كثيرة: الإبداع الفكرى والإبداع العلمى والإبداع الفنى.. أليس الله- سبحانه وتعالى- يقول (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (الإسراء:٣٦).

لا أحد يستطيع أن ينكر أن الإسلام قد أعطى الأمة العربية انطلاقات كبيرة، وأمدها بطاقات جبارة، فلأول مرة فى تاريخ العرب يكون لهم دولة واحدة ونظام سياسى واضح الملامح، هذه الدولة التى امتدت بالفتوحات الإسلامية لتصبح دولة مترامية الأطراف وحضارة متميزة عن كل ما سبقها ولحقها من حضارات، لقد أطلق الإسلام كل قوى الإبداع التى كانت معطلة أو مخبوءة تحت ستار من الخرافات والضلالات والجهل والتشرذم والبدائية، جاء الإسلام منهاجا لحياة الإنسان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية فدبت الروح فى الملكات الإبداعية عند الناس فانطلقوا فى فجاج الأرض وأسقطوا حضارتين: حضارة الفرس وحضارة الروم، ليحلوا محلها حضارة الإسلام العملاقة.. انطلقوا يزرعون ويصنعون ويبدعون فى كل مجالات الإبداع (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) (العنكبوت:٢٠).

والتاريخ شاهد على ما أنجزه المسلمون من إبداعات فى مجال العلم، فكان منهم علماء الكيمياء مثل (جابر بن حيان وابن النفيس وغيرهم) والطبيعة والهندسة مثل (الحسن بن الهيثم) والطب مثل (الرازى والزهرى وغيرهما كثيرون) والفلسفة الإسلامية التى كانت فى عصرها ذروة للفكر الراقى والتأمل فى كون الله فكان هناك ابن رشد وابن سينا والكندى والفارابى وغيرهم، وكانت الفلسفة الإسلامية أبنية فكرية شامخة لا تقل عن الفلسفة اليونانية فى عمقها وشمولها.. بل تتجاوز منجزات اليونان الفكرية والعقلية.

ثم الإبداع الفنى، لقد كان للعرب قبل الإسلام فن واحد هو الشعر، وبعد الإسلام تطور الفن العربى القديم ونشأت أنواع فنية جديدة، برز دور الخطابة والنثر، والكتابة النثرية فكان الجاحظ وأضرابه نموذجا للكاتب الموسوعى، حتى تجاوزت مؤلفات الجاحظ ثلاثمائة كتاب ما بين بحث علمى طبيعى وعلوم إنسانية كالنقد والتاريخ ورسالة فنية كالرسائل المعروفة باسم رسائل الجاحظ.

لقد تطور الشعر العربى بعد الإسلام حتى وصل هذا التطور قمته عند أبى الطيب المتنبى وأبى تمام وأبى العلاء المعرى، وظهرت مذاهب فنية جديدة وتيارات فنية كاملة، ولم يكن الشعر- بوصفه الفن العربى الأول والأهم- ترفا فى حياة الناس بل كان جزءا لا يتجزأ من حياتهم.

وقد تطور الشعر العربى قلبا وقالبا أو شكلا وموضوعا بعد الإسلام، تطورت الأفكار والمعانى وانطلقت القصيدة العربية من ضيق الصحراء إلى رحابة الحياة فى الحضارة، وحسبنا أن نلقى نظرة على الشعر العربى فى الأندلس الإسلامية لندرك القفزة الكبيرة التى انتقلت بالشعر فى جو البادية إلى أجواء الحضارة، ومن الخيال الساذج إلى الخيال المحلق الممتزج بالفكر العميق والرؤية الواضحة.

ليس الشعر وحده هو الذى تطور بعد الإسلام.. بل تطورت الخطابة فظهرت الخطابة السياسية والتعليمية، ولم تكن الخطبة قبل الإسلام أكثر من جمل مسجوعة متوازنة، والأفكار التى تحملها لم تكن أكثر من نعرات قبلية بدائية فصار لها فى الإسلام موضوعات جديدة اجتماعية ودينية وسياسية، واهتمامات وأفكار جديدة والأمثلة كثيرة.. خذ مثلا خطب الخلفاء الراشدين وبخاصة الإمام على.. وخطب معاوية وواصل بن عطاء والحجاج بن يوسف الثقفى وغيرهم من كبار الخطباء..

وظهرت فنون جديدة على العربية مثل فن الرسالة كرسائل الجاحظ، وفن المقامة كمقامات بديع الزمان الهمذانى والحريرى وهناك القصة الفلسفية مثل (حى بن يقظان) التى كتبها الفيلسوفان المسلمان ابن طفيل وابن سينا، وأدب الرحلات الذى كان علما وأدبا فى آن واحد مثل كتابات المسعودى وابن بطوطة وغيرهما من الرحالة المسلمين.

كل هذا يدلنا على حقيقة أن الإسلام أطلق الملكات من عقالها، وفتح الأبواب كلها أمام الإبداع والمبدعين، فى كل نواحى الحياة الإنسانية فنشطت العقول وانطلقت القدرات الابتكارية لتبدع وتضيف وتصوغ فكرا جديدا وقيما جديدة وحضارة جديدة.

والذين يدعون أن الإسلام قيد حرية الإبداع أو حجمها لا يستطيعون أن يدللوا على دعواهم بمثال واحد.. إن أحدا لم يذكر أن كتابا أحرق فى تاريخ الإسلام، أو أدين مفكر أو عالم أو مبدع إلا ما كان من أمر الحلاج، فأين الحجر على العقل وأين القيود التى فرضها الإسلام- دينا أو نظاما سياسيا- على حرية الإبداع؟.

وإذا كانت حرية الإنسان فى اختيار دينه مكفولة بنص القرآن (لكم دينكم ولى دين) (الكافرون:٦).. فكيف يطلق الإسلام أهم الحريات- حرية الاعتقاد- ويقيد حرية الإبداع أو حرية الرأى والفكر؟.. فقط وضع الإسلام ضوابط لتنظيمها وحمايتها من الأهواء التى قد تضر بالإنسان.

ومن الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب الشعر الجيد ويستزيد منه، وأنه كان يحب شعر الخنساء.. بل كان يحب شعر عدوه أمية بن أبى الصلت، وهذه مسألة بينها عبد القاهر الجرجانى فى كتابه (دلائل الإعجاز) بالتفصيل، ومن الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا أنه كان دائم الدعوة إلى الابتكار والإبداع فيما يتعلق بشئون الحياة الدنيا، وكان يقول لأصحابه : أنتم أعلم بشئون دنياكم.

وكان دائما- وهو المعصوم- يحاور أصحابه ويستشيرهم ويعمل بآرائهم ليعلمهم الحرية فى الرأى والاستقلال فى الفكر.. يقول صلى الله عليه وسلم: (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا).

فالإنسان له شخصية مستقلة ورأيه مسموع وحريته مكفولة.

إن الإسلام منهج إلهى يدعو إلى الارتقاء بالإنسان وبالحياة من حوله، والإبداع الإنسانى هو الوسيلة إلى هذا الارتقاء، لذلك فهو يدعونا بل يفرض علينا أن نتدبر ونتأمل فى الكون وآيات الله فيه، لنستطيع أن نتجاوز الواقع ونطوره فنعرف الله حق المعرفة ونعبده حق العبادة.

وحرية الإبداع الإنسانى فى الإسلام مكفولة بلا شرط أو قيد، إلا أن يكون هذا الإبداع لصالح الإنسان وخطوة من خطوات رقيه وتطوره، لهذا أبدع الإنسان المسلم علوما وفنونا وفلسفات، ولم يبدع أسلحة تدمير، ولم تقدم الحضارة الإسلامية ما قدمته الحضارات الأخرى من ألوان المتع الرخيصة التى تهبط بالإنسان.. من مسكرات ومخدرات وجنس، وكل ألوان المغيبات وغيرها مما يعطل مسيرة الإنسان نحو التطور والارتقاء.. بل قدمت لنا الحضارة الإسلامية إبداعا خلاقا نافعا من علوم مزدهرة وفكر راق وفن بديع.

والنصوص التى تدعونا إلى التفكر والتأمل كثيرة وفيرة فى القرآن والسنة نذكر منها الآيات:

- (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) (العنكبوت:٢٠)
-(كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) (البقرة:٢٦٦)
-(أولم يتفكروا فى أنفسهم) (الروم:٨)
- (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض) (آل عمران:١٩١).

حتى .. لو!

منّ رشدى صالح

الله في الأرض دون ميل ولا تعصب فأراحوا الناس حين وقفوا عند ضياع الحقوق فأقاموها وعند المظالم فرفعوها عن الناس دون محسوبية ولا تفرقة بين أبيض وأسود.

أتى علي بن أبي طالب أخاه عقيل وقد أعوزته الحاجة والفقر المدقع فأصفرت وجوه عياله بسبب ما بلغهم من جوع وحرمان وطلب من أمير المؤمنين علي أن يعطيه من بيت مال المسلمين ما يدفع به كربة الفقر عن أهل بيته - فلم يدفع له علي شيئا وحثه أن يصبر علي ابتلاء الفقر المدقع لأنه لا يملك أن يقف بين يدي ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون وهو المسئول عن أموال المسلمين وقد فرط في أموالهم ودفع ولو بجزء منها لفقير مدقع ولو كان أخاه في زمن غير زمن العطاء وكيف يأمر بالعدل وهو ظالم لهم وكيف يقتص للمظلومين وهو ظالم لنفسه أولاً بخيانة حفظ الأمانة وحفظ المال العام؟

استمهل علي عقيلاً حتي جاء زمن العطاء فأثره بعطائه الخاص من مال بيت المسلمين ولم يخرج من المال إلا مما خصه هو.

وعليّ الخليفة القائم علي العدالة كان يصف الفقر بالموت الأكبر فيقول في وصية لابنه محمد بن الحنفية: "يابني - إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإن الفقر منفصة للدين - مدهشة للعقل - داعية للمقت".

وهو حين يشخص الداء ويصفه يضع له الدواء بتطبيق عدالة الإسلام في المجتمع وبين الناس طالما أن الأمر بين يديه وهو الراع المسئول عن الناس جياعهم قبل سادتهم.

والناس الآن في مجتمع عرضت عليه الأديان كلها وأخذ منهم كل من الهدي ما أخذ ولكن العدل لا يصل إليهم والفقر يدق مع كل طلعة شمس أعناقاً وأعناقاً وإذا كانت ظاهرة السرقة بالإكراه تسبق ظاهرة الأمن فذلك فإن السارق الآن يسرق تحت ظروف مختلفة ويأتي من منابت اجتماعية مختلفة وتتجدد ومعها تختلف نوعية دواعي السرقة أو النهب ومع تقلص الأمن الحياتي تتبعثر الأمور وتكبر وتتفاقم وتتحول السرقة إلي أنواع أخري من الجريمة وتتخذ مأخذ آخر بعيداً عن مجرد فكرة السرقة لسد حاجة أو رمقة جائع.

في أوقات التدهور الاجتماعي تتعلق الجرائم الاجتماعية ويزيد الطين بله أنه لا محاسبة رادعة لمن تسول له نفسه الاعتداء علي المجتمع بأي صورة من الصور وستلتهم النيران الأخضر واليابس لأن النسيج الاجتماعي الآن أصبح مهلهلاً وفي حالة رثة بين فقر مدقع في شوارع داخل أفخر بنايات العاصمة وبين تردي وتسيب وراء كل باب يمكن بغلقه أن يصد عن الناس فتن شخصية وعامة.

لا يمكن مع الفقر والجهل وعدم تحقيق العدالة أن تبرق بوادر تطوير بشري - بدون التطوير البشري كيف يمكن أن تبني أمم ثابتة يعجز أعداؤها عن إزاحتها وكيف يمكن أن تستمر أجيال جادة في استثمار حياتها في بناء أوطان لها وزن ورجاحة في كفة الموازين العالمية.

وبدون تحقيق العدالة لن تنام أعين أرهقتها المظالم أو الخوف حتي لو كانت آمنة علي هذا البلد ولن تنام أعين تتربص في كل ظلمة لتقتنص وتنهب في غياب القانون والأمن.. حينئذ نكون في الرجوع القهقري لمجتمعات ضائعة لا محل لها في عالم يسود فيه الأقوياء بمقدار ما يحققون من عدل في مجتماعتهم حتي لو كانوا من عبدة الأوثان.

صباح الموسوى السياسى الإيرانى "السنى" يكتب لـ"مصر الجديدة"

هل يعتذر الإخوان للسنة فى إيران؟!

تتوزع خارطة الحركة الإسلامية (السنية) فى إيران بقدر التنوع القومى والجغرافى للبلاد، حيث لعب هذا التنوع دوراً كبيراً فى المتبنيات الفكرية للجماعات والحركات الإسلامية للقوميات والشعوب غير الفارسية.

ففى مناطق بلوشستان وخراسان شرقى إيران، وفى المناطق الساحلية الجنوبية ومحافظة هرمزكان ومحافظة فارس، توجه الزعامات السياسية والروحية لأهل السنة فى هذه المناطق فى معظمها تميل إلى الفكر السلفى كما توجد بعض الشخصيات والمدارس الإسلامية فى تلك المناطق التى تميل جماعة التبليغ والدعوة ومنهج المدرسة الديوبندية . أما فى إقليم الأحواز العربى فواقع الحركة الإسلامية يختلف فيه عن باقى المناطق الإيرانية ذات الأغلبية السنية التى يعود وجود الحركة الإسلامية فيها إلى زمن بعيد .

فالحركة الإسلامية فى الأحواز حركة فتية عمرها قصير جدا ولم تتمكن بعد من إثبات وجودها بالشكل الذى هو عليه فى المناطق الكردية والبلوشية أو التركمانية حيث إن الشعب فى الأحواز غالبيته على المذهب الشيعى (رغم أن الأحواز إلى زمن غير بعيد كانت سنية وكانت مركزا للمعتزلة والازارقة) والوجود السنى فيها إلى ما قبل الثورة الإيرانية لم يكن له عمل مؤسساتى أو طموح سياسى يدفعه لإنشاء حركة منظمة، ولكن نتيجة لزيادة الاضطهاد وتفشى ظاهرة الخرافات والطقوس الصفوية التى تستعملها السلطات الإيرانية للهيمنة على فكر المجتمع الأحوازى الى جانب سياسة القمع وأساليب التفريس الأخرى، فقد أوجد ذلك انقلابا فكريا وعقائديا عند الشريحة المتدينة من المجتمع الأحوازى أو ما يمكن تسميتها بعملية العودة إلى الجذور والانتماء إلى الفكر الإسلامى السنى ولكن رغم ذلك لم تتبلور بعد حركة إسلامية واضحة الاتجاه والسبب يعود الى جملة من العوائق, منها طبيعة الصراع (عربى فارسى) وشدة القمع الذى تمارسه السلطات الإيرانية ضد العرب عامة وأهل السنة خاصة، بالإضافة إلى وجود الفكر الشيعى السائد فى الإقليم. فالحركة الإسلامية الموجودة حاليا تعتمد نوعاً من التزاوج الفكرى بين العروبة والإسلام وتطمح فى نهاية المطاف الى تحقيق رؤية فكرية واضحة وثابة المعالم والأهداف .

أما فيما يخص مناطق الأكراد غرب إيران فبحكم قربها من تركيا والعراق نجد أن الحركة الإسلامية يتوزع ولاؤها الفكرى بين الصوفية والسلفية وقليل منها يتبع منهج إخوان المسلمين، الذين يتمثل وجودهم بـ "جماعة الدعوة والإصلاح الإيرانية" وهى جماعة صغيرة العدد محدودة التأثير تأسست عقب انتصار الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م فى محافظة كرمانشاه الكردية غربى إيران ومؤسسو الجماعة هم المرحوم الأستاذ ناصر سبحانى والمرحوم الشيخ احمد مفتى زاده، فقد قتل الاول فى عام ١٩٨٩م على يد المخابرات الإيرانية فيما قتل الثانى مسموما فى عام ١٩٩٣م بعد إطلاق سراحه من السجن الذى قضى فيه نحو عشر سنوات . وكان الشيخ احمد مفتى زاده من أوائل رجال الدين السنة الإيرانيين الذين انضموا لجماعة الإخوان المسلمين ولكن على الرغم من تعرض قادة الجماعة للسجن والقتل إلا ان العلاقة بين التنظيم الدولى للإخوان المسلمين والنظام الإيرانى بقيت على متانتها ولم تتأثر أبدا، وقد ارجع البعض سبب ذلك ان جماعة الإخوان لم تكن تريد التضحية بعلاقاتها القوية مع إيران من اجل تنظيم صغير لا يتجاوز أعضاؤه العشرات من الأشخاص ومحصور فى محافظة أو محافظتين إيرانيتين فقط. ويرى البعض الآخر ان من جملة ما يربط الإخوان بالنظام الإيرانى هو وحدة الموقف من التيار السلفى والاتفاق على مواجهته واعتباره عدواً مشتركاً وهذا يستدعى من الإخوان السكوت على ما يقوم به النظام الإيرانى ليس ضد تنظيمهم فى إيران وحسب وبل وحتى ما يقوم به من أشرس الانتهاكات ضد أهل السنة فى إيران عامة، وهذه العلاقة المتينة قد تحدث عنها احد قادة الأخوان "السيد يوسف ندا" بإسهاب فى برنامج شاهد على العصر الذى تبثه قناة الجزيرة . و مع تولى السيد "عبد الرحمن بيراني" منصب المرشد العام (الحالى) لجماعة إخوان المسلمين فى إيران فقد تغيرت العلاقة بين الجماعة والنظام الإيرانى وحيث التصقت الجماعة بالتيار الإصلاحى وعقدت تحالفا مع "منظمة مجاهدى الثورة الإسلامية" احد ابرز تنظيمات ما يسمى بالتيار الإصلاحى .

وعلى الرغم من اتخاذ الجماعة من كلمات، الحرية، العدالة، المساواة، شعارا لها، إلا أنها قد صمت أذانها والتزمت السكوت عن معظم ما تعرض له أهل السنة فى إيران خلال السنتين الأخيرتين تحديداً حيث قام النظام الإيرانى باعتقال وإعدام العديد من علماء ومثقفى أهل السنة وأغلق وهدم العديد من المساجد والمدارس الدينية لأهل السنة لاسيما فى بلوشستان وكردستان والاحواز . كما ان هذه الجماعة كانت السباقة فى انتقاد العلامة الشيخ يوسف القرضاوى عقب التحذير الذى أطلقه مؤخرا وبين فيه خطر التمدد السياسى الإيرانى فى البلدان العربية تحت عباءة التشيع، حيث رأت الجماعة فى بيانها المذكور انه ما كان ينبغى للشيخ القرضاوى طرح مثل هذا الأمر الذى يدخل فى إطار الخلاف الفكرى عبر وسائل الإعلام على حد زعمها، وهذا ما يتعارض وموقف عموم الحركة الإسلامية لأهل السنة فى إيران التى انتقدت الجماعة انتقادا شديدا على هذا الموقف من الشيخ القرضاوى .

و فى محاولة منها لامتصاص النقمة التى أثيرت ضدها إضافة ولفت الأنظار إلى وجودها بعد ان اكتسحت منظمة جند الله، التى تقاتل السلطات الإيرانية فى إقليم بلوشستان، الساحة الإعلامية داخليا وخارجيا وأصبحت صوتا مدافعا عن السنة بمختلف قومياتهم، فقد سربت الجماعة خبرا الى صحيفة الزمان العراقية الصادرة فى لندن نشر بتاريخ ٢٠٠٨/١١/١٢، يتحدث عن تجميد اخوان المسلمين فى إيران عضويتهم فى التنظيم الدولى للإخوان وذلك احتجاجا على مساندته النظام الإيرانى فى أكثر من مناسبة. وأشار الخبر إلى ان مراقب الإخوان فى إيران عبد الرحمن بيرانى وهو عضو فى الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين ابلغ عددا من قيادات الإخوان استياءه الشديد لمناصرة الإخوان فى مصر وقيادات التنظيم الدولى للنظام الإيرانى الذى لا يزال يصر على مطاردة اخوان إيران والتنكيل بهم باعتبارهم جزءا من السنة فى إيران الذين ترفض الحكومة الإيرانية بناء مساجد لهم فى طهران أو مساواتهم بغيرهم من مواطنى إيران، هذا الخبر الذى كان قد حازٍ على مساحة واسعة فى الإعلام العربى، لقى تجاهلاً تاما من قبل الإعلام الإيرانى كما انه لم يحظ بأهمية لدى النخب السنية الإيرانية وذلك لعدة اعتبارات أهمها عدم وجود تأثير لجماعة الإخوان بين أهل السنة فى إيران هذا من جهة، ومن جهة ثانية ان هذه الجماعة قد عرفت بمواقفها المتذبذبة من السياسات الطائفية والعنصرية التى ينتهجها النظام الإيرانى ضد أهل السنة واعتبار ان الجماعة أصبحت ذيلية بإتباعها ما يسمى بالتيار الإصلاحى الذى ثبت كذب ادعائه وطائفية قادته.

و فى الوقت الذى كان فيه المراقبون يتوقعون صدور تعليق سريع من قبل جماعة الدعوة والإصلاح الإيرانية على الخبر المذكور باعتبارها الجهة المعنية بهذا الأمر، فإذا بالتعليق العاجل الذى زاد الطين بلة يصدر عن إخوان المسلمين فى مصر، فهذا التعليق المؤسف لم يكتف بنفى خبر انسحاب اخوان إيران من التنظيم الدولى للإخوان والذى ناقض فيه ماهو منصوص فى المادة الأولى من الفصل الاول لبرنامج عمل اخوان إيران الذى يؤكد على أنهم جماعة إسلامية إيرانية مستقلة غير مرتبطة بأي جماعة أو حركة، بل ان هذا التصريح الذى جاء على لسان السيد "محمد مرسى" عضو مكتب الإرشاد لإخوان مصر يوم الأحد ٢٠٠٨/١١/١٦، قد انتقل من مجرد التحدث باسم اخوان إيران الى تزييف الحقائق وخداع الرأى العام الإسلامى وتلميع الصورة السوداء لنظام ملالى إيران وذلك عندما قال "ليس صحيحا أن النظام الإيرانى يرفض بناء مساجد للسنة فى إيران، فهناك مسجد كبير للسنة فى طهران"، فهذا التصريح يخالف الواقع ومعيب على جماعة بحجم الإخوان المسلمين ان تهبط الى مستوى التضليل ،فهناك ما يقارب العشرين مليونا من أهل السنة فى إيران وأكثر من خمسين سفارة عربية وإسلامية بالإضافة الى ممثلين لعشرات الحركات السياسية وقنوات التلفزة ووسائل الإعلام العربية فى طهران فهل من المعقول ان كل هؤلاء لا يعلمون بوجود هذا المسجد المزعوم واخوان مصر وحدهم من يعلمون به ؟ فنحن نطلب منهم ان يصرحوا باسم وعنوان هذا المسجد ان كانوا صادقين.

الخاسر الوحيد!!

غريبة هي حياة حيوانات التجارب وقاسية جداً.. حياتها توتر دائم وقلق مستمر وخوف يصل إلي حد الرعب فهي يتم إحضارها وإخضاعها للتجارب دون إرادتها وهي عرضة لإجراء الاختبارات دون أن يكون لها ذنب في ذلك فهي ليست صاحبة قرار ولا حق لها في الاختيار أو الاعتراض أو حتي تجاوز ذلك ومعرفة النتائج أو الاستفادة من هذه النتائج، لأن من يحقق أي تقدم أو نتيجة تنسب له هذه النتيجة وهذا النجاح ويستفيد من هذا المجد العلمي ويصبح مشهوراً ومعروفاً كما يستفيد أساتذته ومريدون من تلاميذه وإن أخفق فله شرف المحاولة.. أما حيوانات التجارب فلا.. فهي مستباحة ودمها حلال له وهي بشكل أكثر تحديداً هي الخاسر الوحيد.. تتشابه حياة كثير من الشعوب مع حياة حيوانات التجارب في الكثير من مظاهر الحياة وما يتم عليها من تجارب ،فنجد شعوبا تصدر لها أساليب تعليم وتستمر لفترة علي أساس أنها تجربة ولا تلبث أن تتضح بعد عدة سنوات أن النظام أقصد النظام الذي تم تطبيقه خاطئ وأن هناك أجيالاً من الضحايا ونرفض الفكرة القائمة ونطبق نظاماً آخر للتجريب حتي أصبح بعضه تخريبا لا تجريبا، ونستورد كذلك أساليب زراعية ونقوم بتجربتها علي الأرض لرفع إنتاجية الفدان ونكتشف بعد فترة أن الإنتاج لا يزيد والأرض نفسها أصبحت غير صالحة للزراعة وأهو تجريب ونسمح للمستثمرين بإقامة مصانع يرفضون إقامتها في بلادهم ونصاب بالأمراض وعزاؤنا أن الوزارات خلق عملاً للوزارات الأخري لأن هذا سينشط وزارة البيئة لمكافحة التلوث الناتج عن المصانع التي أقيمت كما ستعالج وزارة الصحة المرضي المصابين نتيجة لهذا التلوث وكله تجارب وبنفس المنطق نتيح الفرصة للبعثات للتنقيب عن الآثار لاكتشافها وتسرق الآثار وتباع ثم نعطي فرصة لبعثات أخري ونجرب مع آخرين، والتجريب ليس بعيداً عن رغيف الخبز فنحن نصنع الخبز من القمح ثم نجري تجارب لخلط القمح بالذرة ثم نستورد قمحاً خاصاً بالحيوانات ونصنع منه خبزاً ونأكله وكله تجريب وتحضرني نكتة حدثني بها صديقي الذي أهداني منذ أيام عدة أزواج من الحمام البلدي وتقول النكتة إن هناك سيارة كانت محملة بالطيور وقابلتها إحدي لجان الرقابة وسأل المسئول السائق ماذا تأكل هذه الطيور فأجاب السائق قمحاً فانزعج المسئول وحرر له مخالفة ووقع عليه غرامة مالية، لأنه استخدم القمح كطعام للطيور وبعد مسافة قريبة قابلته لجنة أخري وسأل المسئول نفس السؤال السابق فأجاب السائق تأكل ذرة فانزعج المسئول وحرر له مخالفة ووقع عليه غرامة أخري وبعد عدة أمتار قابلته لجنة ثالثة فسأل المسئول ماذا تأكل هذه الطيور ففكر الرجل ثم قال إنني أعطي كل منها مبلغاً من المال تأكل به ما تريد.

وبعيداً عن كثرة اللجان أو كثرة المخالفات أو الحمام الذي أهدي إليّ لأقوم بتجربته فإن المعني يفيد أننا لا نستخدم نظاماً واحداً للأشياء وكل له طريقه وفي جميع الأحوال أنت مخطئ وكلها تجارب يتم تطبيقها وعلي مستوي الاقتصاد استخدمت الاشتراكية كنظام بديل للنظام الاقطاعي وهللنا وغنينا "خمس فدادين وقلنا هنيني وصورة" ورددنا أن كل شيء لصالح الشعب وبعد فترة انفتحنا علي الاقتصاد الحر وشهدت بلادنا أغنياء لم نسمع عنهم من قبل وكان لهم الفضل في أن نأكل ما لم نحلم به من لحوم الرومي الذي اكتشفنا بعد فترة أنه طيور جارحة وكذلك عرفنا من خلالهم الصناعات المهمة التي غيرت وجه مصر الحضاري مثل الشيبسي واللبان ولا ندري كيف كانت ستكون حياتنا بدونهما وبدأ القطاع الخاص يأخذ دورة في التنمية وأتيحت الفرصة للاستثمار في كل شيء وتخلت الدولة شيئاً فشيئاً عن القطاع العام وتعالت الصيحات تنادي بالإصلاح عن طريق البيع وعرض كل شيء للبيع حتي أنني ظننت أن منزلنا بصعيد مصر سوف يعرض أيضاً للبيع مع ما يباع.

وبظهور الأزمة الاقتصادية الحالية ظهرت تجربة جديدة وهي الأسهم الشعبية والتي سيتم توزيعها علي المصريين الذين يصل عمرهم إلي ٢١ عاماً ومن المؤكد أنه تم تحديد السن بهذا العمر حتي يتم إدارة هذه الأصول ومتابعة هذه الأسهم الضخمة من القادرين علي الإدارة ماهية مسئولية والسهم الواحد يجيله بـ٧٠٠ جنيه ولا أدري كيف ستكون حياتنا بعد إن نصبح من الملاك وبالطبع الخصخصة ستتوقف ويتردد أن هذا سيحقق الكفاءة الاقتصادية وهذه تجربة جديدة من تجارب أخري عشناها وطبقت علينا.. أن هذا يذكرني بما يتم أيام الانتخابات بأن تنتشر الأقمشة المؤيدة للمرشحين وترفع فوق رؤوس الناس في الوقت الذي لا يجد الناس ما يسترون بهم عوراتهم.. تقام الولائم للكبار والجوعي لا يجدون خبزاً ولكن بمجرد أن يمتلك الجميع أسهمهم سيصبح لديهم ما يبيعون من أجل أن يأكلوا أو يلبسوا ووقتها سنغني "عواد باع أرضه يا ولاد".

عبد الناصر قناوى